الملاءمة البيئية والجمالية للوحدات الخدمية داخل المناطق الأثرية الإسلامية المفتوحة

"دراسة حالة بقلعة صلاح الدين(قلعة الجبل) بالقاهرة"

The Environmental & Aesthetic Suitability of the Service Units within the open Islamic Archaeological Areas

"A Case Study of Al-Qalaa (Citadel of Saladin) in Cairo"

د. أسامة يوسف محمد محمد

أستاذ مساعد بقسم التصميم الصناعي

كلية الفنون التطبيقية– جامعة حلوان

جمهورية مصر العربية

ملخص البحث:

للتراث الأثري أهمية كبيرة يصبح الحفاظ عليه وتنميته من الأهداف الضرورية، حيث تتمتع مصر بتراث حضاري كبير، فقد نمت بها العديد من الحضارات، والتي تركت ورائها العديد من الآثار المتنوعة ومنها الأثار الإسلامية المتنوعة التي نمت على مدار (١٤)قرناً حيث تعد اليوم ضمن التراث الإنساني العالمي، وتعانى تلك المناطق من شدة التلوث البيئي والجمالي، ومن التدهور الذى لحق ببيئتها العمرانية، مما أدى إلى حدوث تشوهات بالمباني الأثرية الإسلامية، حتى طالت التشوهات كثيراً من المباني ذات القيمة المعمارية المتميزة والتاريخية، لذا كان الاهتمام بتطوير تلك الأماكن بمحتوياتها وطرق التعامل معها خلال ممارسة الأنشطة داخلها من كل الجوانب مثل أماكن الانتظار وأكشاك البيع، أعمدة ووحدات الإضاءة ووحدات جمع القمامة، ولزيادة القيمة الحضارية لتلك الأماكن يجب أن تتمتع كل محتوياتها بتنسيق حضاري جيد مع الحفاظ على الطابع المعماري والجمالي لها خلال عمليات استغلالها والاستفادة منها، وأن تتمتع تلك الوحدات بنوع من التكامل الجمالي مع المكان من حيث الشكل والطراز واللون...الخ.

لذلك استهدف البحث تحقيق التوافق البيئي والجمالي في تصميم الوحدات الخدمية داخل المناطق التي لها طراز معماري وجمالي متميز كالمناطق الأثرية الإسلامية، مع استخدام دراسة تطبيقية شاملة لقلعة صلاح الدين كدراسة حالة لتحقيق نتائج البحث، حيث تم دراسة تلك المنطقة ومحتوياتها من مباني إسلامية وأيضاً الوحدات المكملة الموجودة بها، مع تحديد المشكلات الموجودة بها والاحتياجات الأساسية بها لتلك الوحدات، وبالتالي أمكن ادراك متطلبات التصميم البيئية والجمالية للوحدات الخدمية التي سيتم اقتراحها للمكان، ثم تصميم مجموعة من الوحدات الخدمية لتكون نموذجاً للتصميم المحقق لتلك المتطلبات سواء البيئية والجمالية ليتحقق التكامل في التصميم لتلك الأماكن الأثرية الإسلامية.

وتتضح أهمية البحث في ضرورة تحقيق الملاءمة البيئية والجمالية في تصميم الوحدات الخدمية داخل المناطق الأثرية الإسلامية، ويتبع البحث المنهج الاستقرائي.

الكلمات المرشدة:

قلعة صلاح الدين – التصميم البيئي – الأثار الإسلامية – التصميم الصناعي – الوحدات الخدمية – الملاءمة الجمالية

Abstract:

The archaeological heritage has a great importance, with such the preservation and development of it becomes a very necessary target. Egypt has a great cultural legacy, where many civilizations have aged and left behind many miscellaneous archaeological inheritances. That includes the various archaeological Islamic heritages, which have been developed over (14) centuries and today it is part of the global humanitarian heritage. Those areas suffer from the severity of the environmental and aesthetic pollution, as well as the urban deterioration that led to deformities in the Islamic archaeological buildings that have a distinguished architectural and historic value. Consequently, the interest in the development of those archaeological areas is decidedly essential. This development should include improvements to practice of activities, such as waiting areas; kiosks; lampposts and light units; and garbage collection bins. Additionally, to maintain the civilizational value of those areas, the development procedures have a duty to preserve the consistent contents' format and to integrate with the architectural and aesthetic feature during operations.

This research aimed to achieve environmental and aesthetic compatibility in the design process of the service units for areas that have the architectural and aesthetic distinct style, such as the Islamic archaeological areas. To achieve valid results, this research involved conducting an inclusive empirical case study in Al-Qalaa (Citadel of Saladin) in Cairo. This incorporated a review of the area, and its contents (Islamic buildings and its unit's complementary units) in order to identify the problems and undeveloped needs. As a result, it was possible to comprehend the environmental and aesthetic requirements of designing the service units that to be proposed to that area. Moreover, designing a set of service units to be archaeological Islamic design model of those achieved requirements (environmental and aesthetic achieved integrations). The importance of research is to touch the need environmental and aesthetic suitability in the design process of the service units within the Islamic archeological sites, this research followed an inductive approach.

Keywords: Citadel of Saladin - Environmental Design - Islamic monuments - industrial design - service units - Compatibility aesthetic

مقدمة:

للتراث الأثري أهمية كبيرة يصبح الحفاظ عليه وتنميته من الأهداف الضرورية، حيث تتمتع مصر بتراث حضاري كبير، فقد نمت بها العديد من الحضارات، والتي تركت ورائها العديد من الآثار المتنوعة ومنها الأثار الإسلامية المتنوعة التي نمت على مدار (١٤) قرناً حيث تعد اليوم ضمن التراث الإنساني العالمي، وتعانى تلك المناطق من شدة التلوث البيئي والجمالي، ومن التدهور الذى لحق ببيئتها العمرانية، مما أدى إلى حدوث تشوهات بالمباني الأثرية الإسلامية، حتى طالت التشوهات كثيراً من المباني ذات القيمة المعمارية المتميزة والتاريخية، لذا كان الاهتمام بتطوير تلك الأماكن بمحتوياتها وطرق التعامل معها خلال ممارسة الأنشطة داخلها من كل الجوانب مثل أماكن الانتظار وأكشاك البيع، أعمدة ووحدات الإضاءة ووحدات جمع القمامة، ولزيادة القيمة الحضارية لتلك الأماكن يجب أن تتمتع كل محتوياتها بتنسيق حضاري جيد مع الحفاظ على الطابع المعماري والجمالي لها خلال عمليات استغلالها والاستفادة منها، وأن تتمتع تلك الوحدات بنوع من التكامل الجمالي مع المكان من حيث الشكل والطراز واللون...الخ.

إلا أن بعض تلك المناطق تعانى من بعض المشكلات والتي يجب الاهتمام بها وإيجاد الحلول لها وأيضاً تطوير تلك الأماكن بمحتوياتها وطرق التعامل معها خلال ممارسة الأنشطة داخلها من كل الجوانب مثل أماكن الانتظار وأكشاك البيع، أعمدة ووحدات الإضاءة ووحدات جمع القمامة.

ومدينة القاهرة خاصة يوجد بها العديد من الآثار الإسلامية المتنوعة منها المساجد والمنازل والأسبلة والقلاع والحصون....الخ، وكلها تأخذ طابعاً إسلامياً وتظهر بها الفنون الإسلامية المتنوعة فمنها المملوكي والعثماني....الخ، والتي تعتبر متحفاً مفتوحاً يجذب العديد من الزائرين والذين يسعون وراء السياحة الثقافية، ومن تلك المناطق قلعة صلاح الدين وأيضاً شارع المعز لدين الله الفاطمي والذي تم إحياءه لجعله منطقة سياحية أثرية إسلامية مفتوحة حيث يوجد به العديد من الآثار الإسلامية الهامة والتي منها باب زويلة والمعروف ببوابة المتولي وأيضاً باب الفتوح ومسجد الحاكم بأمر الله وسبيل محمد على.....الخ.

ولزيادة القيمة الحضارية لتلك الأماكن يجب أن تتمتع كل محتوياتها بتنسيق حضاري جيد مثل وحدات الإضاءة ووحدات جمع ونقل القمامة وغيرها من المكملات الخدمية، بحيث تتمتع تلك الوحدات بنوع من التكامل الجمالي مع المكان من حيث الشكل والطراز واللون...الخ، لذلك استهدف البحث المساهمة في وضع تصور لحلول تلك المشكلات بالمناطق الأثرية الإسلامية المفتوحة مع تطبيق الدراسة على منطقة القلعة بالقاهرة.

موضوع البحث:

تعانى المناطق الأثرية الإسلامية المصرية حالياً من شدة التلوث البصرى والبيئي، ومن التدهور الذى لحق ببيئتها العمرانية، مما أدى إلى حدوث تشوهات وتعديات على المباني الأثرية والشوارع والأرصفة، حتى طالت التشوهات

كثيراً من المباني ذات القيمة المعمارية المتميزة والتاريخية، وفى وضع كهذا أصبح من الضروري تطبيق الوسائل العلمية والفنية اللازمة لمعالجة العناصر العمرانية وإضافة اللمسات الجمالية إليها، من أجل تحسين صورتها البصرية وصيانتها وتنقية الفراغات العمرانية مما لحق بها لاستعادة طابعها الجمالي وشكلها الحضاري.

ويعد الاهتمام بالجوانب الجمالية أولى الخطوات العملية لتطبيق أسس ومعايير التنسيق الحضاري، والذى يهدف إلى تحقيق القيم الجمالية في الفراغ العمراني وتحسين الصورة البصرية مع العمل على إزالة كافة التشوهات البصرية (اختفاء المظاهر الجمالية)، والذي يمكن وصفه بأنه نوعا من أنواع انعدام التذوق الفني، أو اختفاء الصورة الجمالية في الأبنية والطرقات أو المكملات الخدمية الموجودة في تلك المناطق، كما يهدف إلى الحفاظ على الطابع المعماري للمناطق المختلفة مع حماية العناصر البيئية وتنسيقها داخل تلك المناطق، حيث يقوم المصمم بعمليات التحليل والتركيب أثناء العملية الإبداعية أو الربط بين كل العناصر الجمالية من خلال الإدراك البصرى والجمالي.

ولما كان الطابع الإسلامي هو أدق وأوضح ما يميز المنطقة المقترحة(منطقة القلعة)، أصبح الفن الإسلامي هو أهم ما يجب أن يميز تجميل الوحدات المقترح تصميمها بالبحث وكان الالتزام بهذا الطابع هو أول المعايير الجمالية الواجب مراعاتها في التصميمات الناتجة لتتوافق مع الطراز العام للمنطقة المقترحة، ولاستكمال المعايير الجمالية المقترح تعيينها بالبحث المقدم، كان هناك محاولة للبحث داخل معطيات الفن الإسلامي بما يحتويه من فلسفات أثرت على مبدعيه، ومن ثم محاولة الاستفادة منها للوصول إلى حلول تصميمية تكون متوافقة بيئياً وجمالياً مع الفراغات والطرز المعمارية المتواجد بها تلك الوحدات.

وباعتبار العمارة من أهم الفنون التي يتأثر تؤثر بها المصمم الصناعي وبالتالي تؤثر على مجال تصميم المنتجات، ففي مجال العمارة يتأثر المصمم بالنماذج المعمارية التي تحمل سمات الاتجاهات والطرز المختلفة، وبالتالي يظهر تأثير ذلك في تصميماته المختلفة المرتبطة بالعمارة، ومنها تصميم الوحدات والمكملات الخدمية داخل المباني المعمارية التي تلبي احتياجات الإنسان المختلفة في تلك الأماكن، حيث ترتبط المنتجات بالعمارة سواء الداخلية أو الخارجية منها، والتي يجب أن تتكامل مع الطراز المعماري المرتبطة به، حيث تصبح العمارة من أهم مصادر الإلهام للمصمم الصناعي.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في التطورات والإضافات المستحدثة التي تتم داخل المناطق الأثرية تبعاً للتغيرات التي تطرأ على تلك المناطق والحاجة إلى توفير بعض الاحتياجات التي تمكن من استغلال تلك المناطق الأثرية بشكل اكثر سهوله مما اصبح يمثل تعدياً على تلك الأثار لعدم الاهتمام بالجوانب البيئية والجمالية وعدم مراعاه الطابع الخاص والطراز الموجود بكل منطقة، حيث يمثل الطابع البيئي والجمالي شكلاً مميزاً وخاصة المناطق الأثرية الإسلامية،

كذلك تعتبر منطقة القلعة نموذجاً جيداً لتطبيق جوانب الدراسة للتأكيد على أهمية إيجاد الحلول المختلفة لتلك المشكلة.

أهمية البحث:

وتظهر أهمية البحث في النقاط التالية:

- أهمية الحفاظ على الأماكن الأثرية من الأضرار وتحقيق التكامل والتوافق البيئي والجمالي في بيئتها المعمارية.
- التعرف على الفنون الإسلامية وخصائصها وسماتها الجمالية كأحد متطلبات التصميم.
- التعرف على الأماكن الأثرية الإسلامية الموجودة في مصر وأهميتها السياحية، وكذلك الطرز الإسلامية المختلفة الموجودة بها.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

- إيجاد مجموعة من الخطوات التي تهدف إلي الوصول لأسلوب ومدخل يحقق تشكيل دون وجود الأضرار بالصورة البصرية للمباني الأثرية في البيئة المفتوحة.
- التأكيد على دور التصميم الصناعي في حل المشكلات البيئية والجمالية التي تعانى منها المناطق الأثرية المفتوحة وقدرة المصمم على إيجاد الحلول لها.
- تحقيق التوافق البيئي والجمالي في تصميم الوحدات الخدمية داخل المناطق التي لها طراز معماري وجمالي متميز كالمناطق الأثرية الإسلامية.

منهجية البحث:

يتبع البحث المنهج الاستقرائي

المحور الأول: الخصائص الجمالية في الفن الإسلامي

تميز الفن الإسلامي بعدد من الخصائص التي أكسبته الشكل المميز الذي يمكن التعرف عليه بسهولة، فالزخرفة بكل ما تمثله من دقة وحرفية عالية كانت سمة هامة في الفن الإسلامي، سواء كان معمارياً كالمساجد، والقصور، والأسبلة، أو كان جزءاً من النسيج أو الرسم على المعادن والحفر على الخشب، حتى صارت الزخرفة فناً إسلامياً قائماً بذاته، كما وظف الفنان المسلم ذلك الفن في التعويض عن غياب الفنون الأخرى مثل فن التصوير الذي ابتعد عنه المسلمون في العصور الأولى مخافة التحريم، فأصبحت الزخرفة مخرجاً لطاقات الفنان المسلم، حيث غلبت الأشكال الهندسية والرسوم النباتية على أشكال الزخرفة بدلاً من تصوير الإنسان والحيوان، كما تميز الفن

الإسلامي بكثرة استخدام الكتابة فيما عُرف بفن الخط العربي"، حيث وظف المسلمون آيات القرآن في مساجدهم، حيث تفنن الفنان المسلم في تجميل الأحرف العربية ، وهكذا جمع الفن الإسلامي بين عدة عناصر متميزة، فهو فن تعبيري له ملامح جمالية وعملية في آن واحد، ومن جانب آخر فهو فن يختلط بالروحانية من حيث ارتباطه بالدين الذي هو نبعه الأساسي ومصدر تميزه عن الفنون الأخرى.[١]

١-المعايير الجمالية في الفن الإسلامي:

يمكن إطلاق مصطلح "فن إسلامي" على تلك الفنون، لأن الإسلام كان محور الحياة في تلك العصور، وكان المصدر الرئيسي للقوانين ومظاهر الحياة، وتحولت المشاعر والأفكار الروحية إلى مظاهر مادية، فتحولت إلى عمائر لها مواصفات تختلف كثيراً عن غيرها من المميزات والمواصفات الفنية الخاصة بالفنون الأخرى، وانطلق الفنان المسلم يجرد مفردات الطبيعة، ثم يفككها إلى عناصر أولية، ليعيد تركيبها من جديد في صياغة لا نظير لها في الطبيعة، من أجل التوصل إلى منطق فكري خاص لا يهتم بنقل المرئي، بل إظهار ما هو غير مرئي، ومحاولة الإحساس بقوانين الرياضيات التي تحكم هذا الوجود، وتأكيداً لهذه القيم، فاتجه الفن الإسلامي إلى الهندسة والتجريد في كافة ميادينه، خاصة الأرابسك، معتمداً فيه على التماثل والتناظر والتبادل وتعدد المساحات في توزيعها والإيقاع الخطي المحكم.[٢]

ان دراسة الفن الاسلامى لا تخضع للمعايير الجمالية للفنون التشخيصية مثل الفنون الاغريقية والمصرية القديمة والرومانية حيث لم يعبر الفن الاسلامى عن اى شكل من الاشكال المحدودة بل اتجة الى المطلق وارتبط بمعايير جمالية في الحرية في التعبير والبحث عن المثل العليا وقضايا المطلق، وهناك معايير جمالية مختلفة تعبر عن هوية الفن الإسلامي، حيث عبر الفن الإسلامي عن السعي للدخول إلى عالم المطلق والكشف عن المعاني الكبرى الحياة ، كما بينها الدكتور عفيف بهنسي:

١-١ الحرية والأبداع:

رؤية خاصة بثقافة ووعى الفنان المسلم من حيث اعتباره أن الفن الممارس لديه هو فن المطلق، فلم يبلغ أي فنان قدر الحرية الفنية كما بلغها الفنان المسلم، حيث ظلت الفنون الأخرى أسيرة الواقع، فالفن الإسلامي ظل يدور في فلك المطلق، فكان الفنان المسلم حراً في اختيار الصيغة والتكوين الذى يرغبه ويبدعه بالرغم من أن النزعة التجريدية هي فن المطلق لكن تظل هذه المدرسة مرتبطة بالأشياء وليست بالمطلق ومن خلال ذلك يشترك الفن الإسلامي مع أساليب الفن الحديث في العالم والتي تؤمن بالاستقلالية التامة عن الواقع دون أن تعتبر ذلك قيداً.

١- علياء عكاشة: العمارة الإسلامية في مصر، ديزني للنشر، الجيزة، ٢٠٠٨، ص٦.

٢- ثروت عكاشة: القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار الشروق-القاهرة، ١٩٩٤، ص٤٢.

١-٢ البحث عن المثل:

الفنان المسلم يسعى إلى المعاني الكاملة وراء الأشياء وخاصة المعنى الإلهي، حيث هدف الفن ليس التعويض عن حاجة مادية ...الخ، وإنما الهدف هو الكشف عن عمق الحياة.

١-٣ التسامي والأطلاق :

ابتعاد الفنان المسلم عن التصوير الصريح، والتوجه إلي فن الزخرفة، فن الخط العربي، فن الأشكال الهندسية، حيث الصيغ النباتية هي الأكثر تعبيراً وكذلك الصيغ الهندسية تمثل شكلاً أكثر تجريداً يعبر مباشرة عن الكون وكما أن الحروف تشكل كلمة ذات معنى فكذلك الأشكال الهندسية تشكل جملة إبداعية ذات مدلول.

٢-خصائص العمارة الإسلامية:

تميزت العمارة الإسلامية بعدد من التفاصيل التي تكررت في مباني العمارة الإسلامية حتى صارت من السمات الرئيسية فيها وأكسبتها شخصيتها المتفردة والمختلفة عن باقي الطرز الفنية، وقد أصبح بعض من هذه العناصر والتفاصيل جزءاً من التصميم المعماري نفسه، والبعض الآخر صار شكلاً جمالياً يضيف رونقاً للمبنى وأجزائه، وتميزت العمائر الإسلامية بوحدات صغيرة خاصة بها في التصميمات المعمارية، وللعمارة الإسلامية شخصيتها وطابعها الخاصُّ المميِّز، والذي تتبيَّنُه العينُ مباشرة، سواءٌ أكان ذلك نتيجة للتصميم الإجمالي، أم العناصر المعمارية المميِّزة، أم الزخارف المستعمَلَة، كما تميزت العمارة الإسلامية بغنى مفرداتها المعمارية، واهتمامها بالنواحي الحياتية جميعها، فظهرت المباني الدينية من مساجد ومدارس، وأبنية مدنية كالدور والقصور، وأبنية عامة كالبيمارستانات (المشافي) والخانات (محطات استراحة المسافرين)، والحمامات والأسواق، كما ظهر الاهتمام بالحدائق والسبُل المائية على صعيد تخطيط المدن إضافة إلى العمارة العسكرية، وبُنيت القلاع والتحصينات، ولم يقتصر غنى العمارة الإسلامية على تنوع ماهيات الأبنية وموضوعاتها، بل تميزت بغنى مفرداتها وعناصرها المعمارية، فمن هذه العناصر القباب domes/cupolas والقبوات والعقود vaults بمختلف أشكالها (أنصاف دائرية penannulars، والمدببة pointed arches، والحدوية horseshoe arches، والمفصصة lobed arches ...)، والمآذن minarets والمحاريب mihrabs والأروقة porticos، والعناصر الانتقالية للقباب من مثلثات كروية spherical triangle pendentives ومقرنصات stalactites، والفراغات الداخلية المكشوفة، والمساقى fountains فيها، والسُبل المائية الموزعة في أحياء المدن، والفسقيات (البحرات الداخلية)، والأواوين iwans (غرف جلوس ثلاثية الجدران تطل على الفناء)، وعناصر الزخرفة ornaments المختلفة، وبرز شأن الكتابة العربية كعنصراً زخرفيّاً في مختلف الأبنية ورمزاً من رموز الديانة الإسلامية، وهي لغة القرآن الكريم. ، كما هو موضح في شكل(١).[١]

١- علياء عكاشة: العمارة الإسلامية في مصر، ديزني للنشر، الجيزة، ٢٠٠٨، ص٢٢.

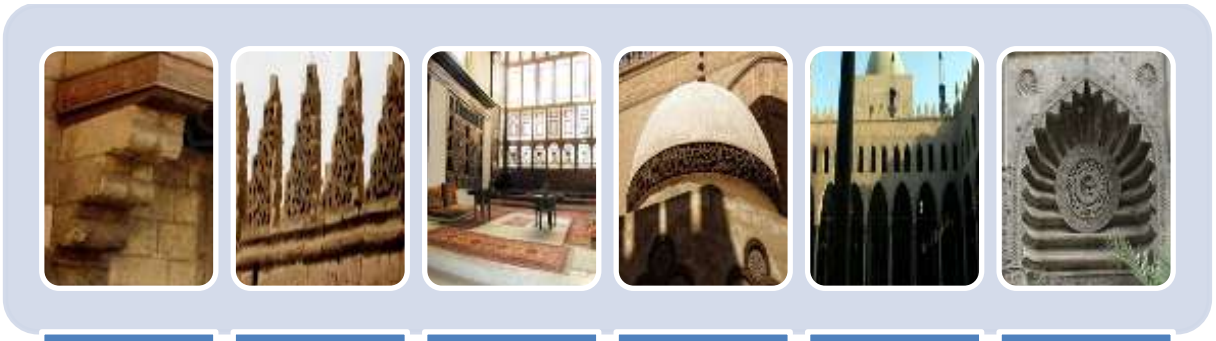

شكل(١)عناصر العمارة الإسلامية

وجاء احترام البيئة ضمن الممارسة الأخلاقية في العمارة الإسلامية، كونها مصدر مواد البناء التي تُجسد العناصر المعمارية، وهي التي تشارك في خلق فضاءات معمارية موائمة، وتتميز البيئة الإسلامية على العموم بالجفاف وانخفاض معدل الأمطار وارتفاع شدة الإشعاع الشمسي وارتفاع معدل الفاقد الإشعاعي ليلا، وبثبات نسبي في أنواع الرياح اليومية والموسمية، وقد بنى المصمم المعماري الإسلامي أسلوباً في البناء متناغماً مع تلك المعطيات المناخية والاستفادة منها.[١]

٣-قلعة صلاح الدين(قلعة الجبل) بالقاهرة:

تقع القلعة بحي القلعة، وتعتبر من أهم وأضخم القلاع التي أقيمت في مصر، ولا تزال صامدة رغم مرور الزمن، وتعود القلعة للعصر الأيوبي، حين فكَّر صلاح الدين في بناء القلعة، وذلك فوق ربوة تُسمى "ربوة الجبل" وهى احد سلاسل هضاب جبل المقطم، وذلك بسبب الأخطار التي كانت تحيط بالعالم الإسلامي في عصره، خاصة الخطر الصليبي وبقايا الفاطميين الذين أطاح بدولتهم وخشى من عودتهم مرة أخرى.

ولهذا، قام قراقوش الأسدي وزير صلاح الدين بهدم المقابر والمباني التي كانت موجودة مكان الربوة، ونحت العمال الصخر وحفروا خندقاً ليمنع أي عدو يسيطر على جبل المقطم من الاستيلاء على القلعة، وقد اختار صلاح الدين هذا المكان لأنه موقع هام، حيث يكشف كل القاهرة والفسطاط في نفس الوقت، ويمكن من خلاله رصد

١- علي ثويني: المنحى البيئي في العمارة الإسلامية، مجلة ينابيع، العدد(٢٥) رجب-شعبان ١٤٢٩هـ، ص١١٧.

أي تحركات عسكرية تحدث بالقرب من القاهرة، وقد تم بناء القلعة ٥٧٢هـ/١١٧٦م، لكن ظل الملوك والسلاطين يجددون القلعة ويصلحونها حتى عصر محمد على باشا الذي كان آخر من اهتم بالقلعة وأقام بها من حكام مصر، وتعرف قلعة صلاح الدين(قلعة الجبل) خطأ عند غير المتخصصين باسم قلعة محمد على، لأن جامع محمد على هو اكثر معالم القلعة شهرة، أما قلعة محمد على تقع شرقاً مقابلة لقلعة الجبل أعلى جبل المقطم.

وتتكون القلعة منقسمين(سورين، أو نطاقين) احدهما: القسم الشمالي الشرقي وهو القسم الحربى وهو عبارة عن مساحة مستطيل المسقط تقريباً يدور عليها أبراج سواء نصف دائرية أو ثلاثة أرباع دائرية أو مربعة أو مستطيلة المسقط ويحدها من الشرق خندقا عميقاً، والقسم الجنوبي الغربي وهو القسم المدني(السكنى) ويفصل بين القسمين حائط سميك يتوسطه برجين مستديرين بينهما الآن باب القلعة ويطلق على القسمين معاً اسم القلعة.[١]

والقلعة بها مجموعة كبيرة من الأبراج والأبواب كما تضم بداخلها عدداً كبيراً من المباني التي تحوَّل معظمها إلى متاحف منها المتحف الحربي، وقصر الجوهرة، ومتحف الشرطة ومحكي القلعة، ويوضح شكل(٢) مكونات القلعة.[٢]

شكل(٢) مكونات القلعة

٣-١ مسجد محمد علي بالقلعة:

يُعتبر مسجد محمد علي من أهم مكونات القلعة حيث شيده محمد علي باشا سنة ١٢٤٦-١٢٦٥هـ/١٨٣٠-١٨٤٨م على نسق المساجد في استانبول، وتخطيطه مربَّع، تعلوه وتغطيه قبة ضخمة تستند إلى أربعة عقود كبيرة، كما هو موضح في شكل(٣)، ترتكز بدورها على أربع دعائم ضخمة، وتحيط بالقبة من جوانبها الأربعة أنصاف قباب، كما تغطي أركان المسجد أربع قباب صغيرة، وقد زين باطن القبة الكبرى بنقوش ملونة ومذهبة تمثل مناظر طبيعية، وعلى طرفي الوجهية الغربية للبناء تقوم منارتان أسطوانية الشكل على وفق المآذن التركية الصاروخية،

١- على الطايش: العمارة الفاطمية والأيوبية في مصر الإسلامية، المكتبة العالمية للنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠١٣، ص٤٥-٤٦.

٢- علياء عكاشة: العمارة الإسلامية في مصر، ديزني للنشر، الجيزة، ٢٠٠٨، ص٨٩.

وترتفع كل منهما اثنين وثمانين متراً، وللمسجد أبواب ثلاثة، يؤدي القائم في وجهتيه الغربية إلى الصحن الذي يكسو جدرانه رخام الممر، وتحيط به أروقة أربعة عقودها وأعمدتها من المرمر تحملها أعمدة أربعة.[١]

شكل(٣) مسجد محمد علي بالقلعة

المحور الثاني:تحقيق التكامل البيئي والجمالي لمكونات المناطق الأثرية الإسلامية

١- الخصائص البصرية لتحليل عناصر التشكيل المعماري:

تساعد الخصائص البصرية لعناصر التشكيل المعماري على إدراك مفهوم التشكيل من خلال منابع الإبداع التشكيلي، وكلمة تشكيل تشمل العديد من المجالات تبعاً لنتاجها، كما توجد في الفنون مجموعة تسمى الفنون التشكيلية وهي التي تعتمد أساساً على تشكيل مفردات الفنون المرئية في صور متنوعة، كاللوحات والقطع الفنية المنحوتة.

وحيث أن الإبداع هو تشكيل المادة والحيز في منظومات كتلية فراغية تلتقي بالحياة الإنسانية فوق الاحتياجات المادية لتشبع المتعة النفسية والاجتماعية والفنية والفكرية[٢]، فإنه يمكن للمصمم أن يستمد تشكيلاته من مصادر محيطه به، وإبداعه في التصميم يكمن في قدرته على التصرف مع هذه التشكيلات وتطويعها لتلائم الغرض المستخدمة فيه .

ويمكن للمصمم أن يتعامل مع منبع الإبداع في عدة صور تبعاً لقدراته الفنية والفكرية على عدة مستويات موضحة في شكل(٤)، حيث يتعامل الإنسان في حياته مع سلسلة من التشكيلات إما جمالية تحاكي حسه وذوقه، أو نفعية تؤدي له وظيفة معينة، أو تشكيلات تتكامل فيها مفهوم الانتفاع والجمال، فهناك فنون مثل النحت والرسم

١- ثروت عكاشة: القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٤، ص٢٣٨.

٢ - أحمد شفيق الخطيب، معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩١.

والتصوير قد يخلوا من تشكيلاتها عنصر الانتفاع، وهناك تشكيلات أخرى كالميكانيكية يسيطر عليها الجانب الانتفاعي بعيداً عن الجماليات، أما في الفنون التطبيقية ومنها العمارة، فالتشكيل يرتبط بغرض انتفاعي فهي عبارة عن حيز فراغي تشكيلي يأوي نشاط إنساني معين يهدف تأدية منفعة، فتشكيل العمارة يعتبر تكوين من عنصريها الأساسيين وهما، الكتلة والفراغ، وما يحمله كلاً منها من صفات وملامح وعناصر أخرى ثانوية في إطار تنظيمي محدد.[1]

شكل(٤) أساليب التعامل مع منبع الإبداع

وتعتبر الخصائص البصرية هي العناصر أو الأدوات التي يستخدمها المبدع في ظل علاقة حاكمة لتحليل الأشكال، ومن ثم الخروج بالتكوين أو التشكيل كما هو موضح بالشكل(٥).

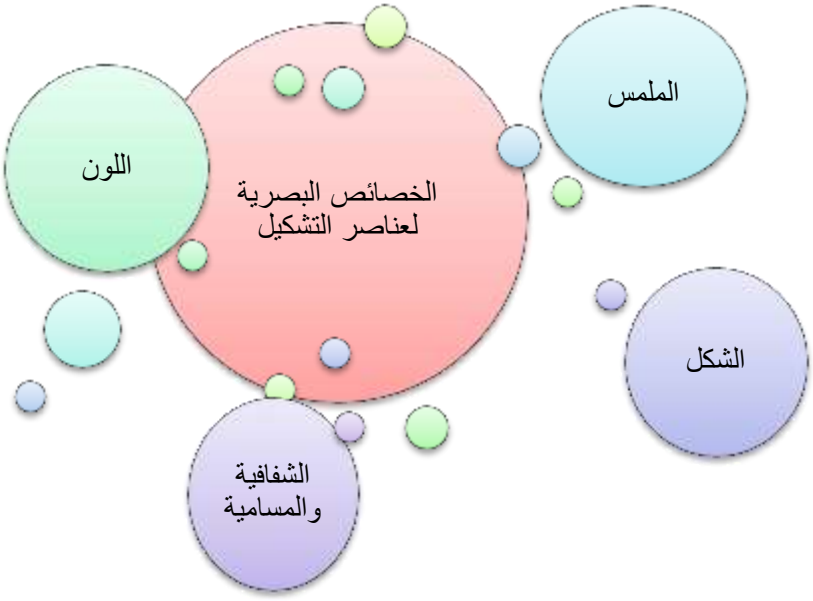

شكل(٥) الخصائص البصرية لعناصر التشكيل

١- أحمد عبد المنعم حامد القطان: التكامل المعماري بين التشكيل القائم والمستجد، رسالة ماجستير، كلية الهندسة جامعة الأزهر، ٢٠٠٦، ص٣٨.

٢-أساليب تحقيق التكامل البيئي والجمالي:

من أكثر المشكلات الحديثة إهمال التراث والقيم المتوارثة من الأجيال السابقة، فنتجت محاولات تصميمية متباينة بأساليب مختلفة، والتي تتضح بشكل كبير في تصميم الوحدات المكملة في المناطق الأثرية، حيث الاعتبارات الاقتصادية التي تحكم تلك التغيرات وبالتالي ظهرت تشكيلات تصميمية للوحدات التكميلية متباينة مع التشكيلات المعمارية القائمة، ومن هنا نجد أن البيئة المعمارية الحالية تحتاج إلى رصد وتصنيف وتحليل تلك الظاهرة والأساليب المختلفة المتبعة للتكامل بين التشكيلات القائمة والمستجدة، فالعلاقات بين الأشياء تختلف باختلاف المعيار وقد تكون العلاقة عكسية وقد تكون العلاقة تنافريه وقد تكون العلاقة تكاملية.

وتعتبر الإضافات أو الملحقات الملائمة للمباني القائمة ذات القيمة محل دراسة ومحاولة إيجاد حلول عديدة ينصب اهتمامها الأكبر على كيفية تصميم تلك الملحقات والمكملات بجانب المباني القائمة التاريخية، ذلك لأنه لا مجال للمقارنة بين القيمة المعمارية لهذه المباني القديمة وبين أي إضافات تكميلية حديثة.

ويعتبر تحقيق التميز البصرى بين الحديث والقديم طريقة أساسية من خلال تصميم الإضافة الجديدة بطريقة تختلف إلى حد ما، لكى تظهر المكملات الجديدة كأنها جزء من المبنى القديم القائم مما يعطي نوعاً من التوافق.

فتحقيق تكامل البيئة المعمارية الأثرية مع أي تشكيل جديد ذو قيمة أمر مكمل للحفاظ عليه، ليكون التشكيل المضاف للمكملات متوافقاً وفيما يلى طرق لتحقيق التكامل المعماري والتي يمكن إنجازها كالتالي:

إن التوافق مع التشكيل القائم هو أن يكون التشكيل المستجد متناسباً مع التشكيل القائم من خلال عدده طرق مثل التماثل أو التشابه النسبي أو الانعكاس، ويوضح شكل(٦) تلك الطرق المختلفة.[١]

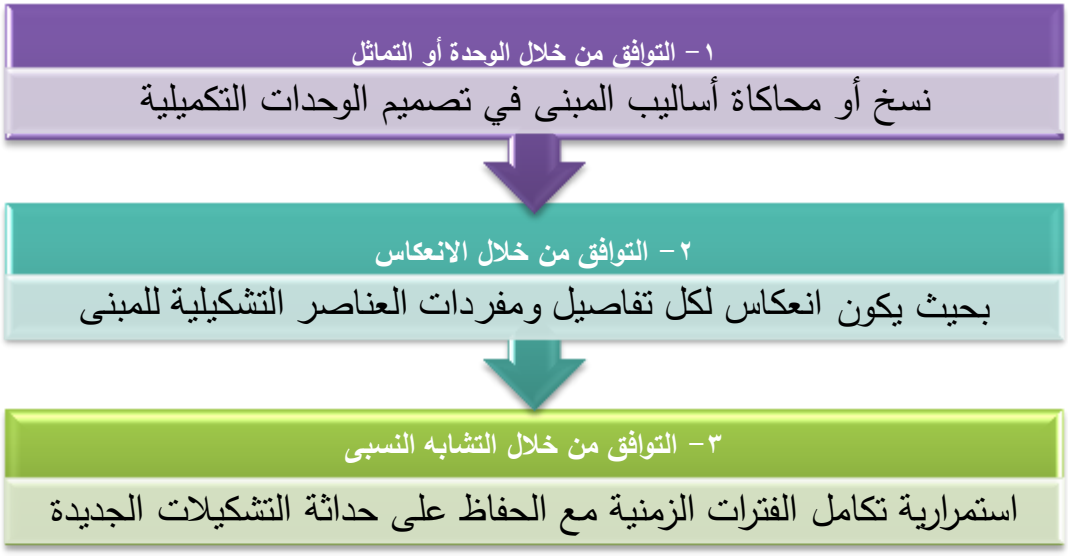

شكل(٦) طرق التوافق مع التشكيل المعماري

١- أحمد عبد المنعم حامد القطان: التكامل المعماري بين التشكيل القائم والمستجد، رسالة ماجستير، كلية الهندسة جامعة الأزهر، ٢٠٠٦، ص١٢٠

٢-١ مشكلات التصميم البيئي للمناطق الأثرية الإسلامية:

في الوقت الحالي يوجد بعض المشكلات في المباني الأثرية الإسلامية المفتوحة، والتي تتمثل في الافتقار إلى مفردات معمارية تتكامل مع بعضها البعض نتيجة لوجود اختلال في التوازن بين ما هو قائم وما هو جديد مما أدى إلى حدوث تناقض وتنافر بين التشكيل القديم والجديد، و أيضاً نتيجة للتعديلات التي تتم على القديم بدون دراسة مسبقة للنواحي التشكيلية المعمارية ولطرازيه للمنشأ القديم فظهرت امتدادات مستجدة دون الرجوع إلى الأصول التشكيلية للقديم وبالتالي ظهر المنتج النهائي بتشكيل مستجد دخيل شوه التشكيل القديم القائم.

ويمكن تحقيق ذلك من خلال رصد الإضافات والمكملات الجديدة وتأثيرها على الطابع والتشكيل الأصلي للمبنى سواء كان ذلك بالسلب أو بالإيجاب، ومن ثم تحليل الخطوط للوصول إلى التكامل بحيث تكون الإضافات متوافقة مع التشكيل المعماري من خلال إطار متوافق ومتناسق يتوافق معه في مفرداته وطرازه وتشكيله الأصلي.

وتعتمد فلسفة تصميم البيئة علي دراسة الأساليب المتاحة لإخراج الأفكار التصورية إلي حيز الوجود الخارجي وبلورتها، حيث يهتم تصميم البيئة بالدرجة الأولي بابتكار الأماكن، من خلال تحديد الأنشطة التي تمارس في المكان ولذا كان من الضروري تحديد الخصائص الفيزيقية المميزة للمكان وكذلك التصور لكيفيه تصرف الناس تجاه هذا النشاط في تلك البيئة الفيزيقية .. أما اذا كان المكان محدد كمثال إعادة تطوير مكان محدد فهناك عدة خطوات يجب أن تتبع:

- حصر الخصائص الفيزيقية للمكان.
- تحديد التصورات الملائمة لكل مجموعة من الخصائص الفيزيقية لتنفيذها في ضوء الإمكانيات المتاحة بالمكان.

المحور الثالث: التطبيق (دراسة حالة لقلعة صلاح الدين بالقاهرة)

يمثل التنسيق الحضاري أسلوباً يهدف إلى استرجاع القيم الجمالية والفنية لعناصر البيئة الحضرية، مما ينعكس على السلوك البشري للإنسان وعلى القيم الجمالية التي تترسخ بداخله بصفة عامة، فمن حيث أن البيئة الحضرية والتي هي أحد المقومات البيئية والتي يتمثل فيها ما قام الإنسان بصنعه من مفردات حضارية كالعمران، فهي تشمل كل ما قام به الإنسان من أعمال الإنشاءات المختلفة في البيئة الطبيعية من مبان وعمارات وطرق ومساحات وحدائق وغيرها، وفي مجال العمارة يتم استعمال أنواع معينة من المصطلحات البيئية الحضرية التي تؤثر بشكل كبير على أسلوب تصميم المباني ونمط الحياة، كما أن استعمال هذه المصطلحات باستمرار خلال الحديث عن العلاقة بين المباني والبيئات المختلفة المقامة فيها يساعد في توسيع الفهم لدى المجتمع.

ويمكن للمصمم أن يستفيد من الإمكانيات التراثية في التصميم بعدة أشكال منها الاستفادة من أفكار الوظائف المختلفة وتوظيفها في نفس الغرض أو أغراض أخرى وأيضاً الاستفادة من الأشكال والطرز الجمالية الموجودة والألوان....إلخ، وحيث أن الإمكانات التراثية السابقة سواء الموجودة في مصر خاصة مثل التراث الإسلامي بكل أشكاله وأدواته والتي هي تراث حضاري كبير ومتنوع وهذا التراث موجود في البيئة المحيطة بالمصمم الصناعي، والتي

يمكنه الاستفادة منها بطريقتين إما محاكاتها كما هي أو إبداع تصميم جديد مستوحى منها، وبين محاكاتها وإبداعها مستويات للاستفادة في التصميم والتي تجعل التصميم (تصميم المنتج) يقوم على توظيف التقنية البيئية لوظيفة المنتج بشكل يتوافر به الملاءمة البيئية بكل جوانبها وهناك أمثله كثيرة، وهذا يعتبر محاكاه ويمكن أن يحوله المصمم إلى إبداع عن طريق تطوير التصميم والاستفادة من الفكرة في إيجاد تصميم جديد يؤدى نفس الوظيفة وهذا يعتبر توظيف للتكنولوجيا الموجودة في البيئة المحيطة للمصمم، أيضاً الاستفادة من الأشكال التراثية والبيئية في تصميم وحدات تحمل الطابع التراثي للمكان والتي تلاقى قبولاً أكثر حيث أنها أكثر ملاءمة لبيئة المكان الذى تستخدم فيه، فالتراث الحضاري المعماري وخاصة الإسلامي أضاف للمصمم مجموعة كبيرة من العلاقات الهندسية والنسب الجمالية والألوان التي يستخدمها المصمم الصناعي في تصميمه وإبداعه الجمالي للمنتجات التي يقوم بتصميمها.

إن تعيين المعايير البيئية والجمالية للمفردات الخدمية التي تحقق نفعاً ملموساً للإنسان لها أهميتها من أجل الوقوف على كل ما يمكن أن يكون ذو نفع مادي للإنسان، هذا وتعتبر أهم المعايير الجمالية لدى الفنان المسلم ملاءمتها التطبيقية وتأكيد الغرض النفعي من المنتج إضافة للتوافق مع العقيدة والفلسفة الخاصة التي تميز الفن الإسلامي عامة.

١- المشكلات البيئية والجمالية داخل القلعة:

تتمثل المشكلات البيئية والجمالية داخل القلعة كمنطقة آثار اسلامية مفتوحة في عدم الملاءمة البيئية والجمالية للوحدات الخدمية الموجودة بها وهى(اللوحات الارشادية – وحدات جمع القمامة – أكشاك الحراسة والاستعلامات – أكشاك بيع الهدايا التذكارية والكتب – أعمدة الإنارة – محطات الانتظار)، وقد تم عمل دراسة واقعية الموجود وحصرها للوقوف على المظاهر السلبية الموجودة بها وهى كالتالى:

- **اللوحات الإرشادية:**

شكل(٧) نماذج للوحات الإرشادية بالقلعة

- **وحدات جمع القمامة:**

شكل(٨) نماذج لوحدات جمع القمامة بالقلعة

- **أكشاك الحراسة:**

شكل(٩) نماذج لأكشاك الحراسة بالقلعة

- **أكشاك بيع الهدايا التذكارية والكتب:**

شكل(١٠-أ) نماذج لأكشاك البيع بالقلعة

شكل(١٠-ب) نماذج لأكشاك البيع بالقلعة

- **أعمدة الانارة:**

شكل(١١) نماذج لأعمدة الإنارة بالقلعة

- **محطات الانتظار:**

شكل(١٢) نماذج لمحطات الانتظار بالقلعة

- **الحلول المقترحة:**

تمثل الحلول المقترحة للمشكلات البيئية والجمالية للوحدات الخدمية داخل القلعة نموذجا تصورياً لتصميم تلك الوحدات ليس فقط داخل القلعة وانما لكل المناطق الأثرية الإسلامية ويحدد ذلك مجموعة من متطلبات التصميم لتلك الوحدات وهى كالتالى:

- استخدام نهج Landscape لإضافة وحدات لتجميع ونقل القمامة داخل القلعة علي أن يتم توحيد تصميم هذه الوحدات شكلاً وألواناً ومقاسا حتي تتفق مع التنسيق الجمالي للمكان.
- كذلك يفضل أن يكون التصميم إسلامي تاريخي ليتفق مع القيمة التاريخية الإسلامية للمكان.
- يفضل استخدام ألوان تاريخيه تنتمي لتلك الحقبة الزمنية.
- بعد الاستقرار علي تصميم الوحدات واختيار الألوان المناسبة يجب تحديد أماكن توزيعها داخل القلعة بشكل منهجي سليم.

ولتحقيق ذلك تم وضع مجموعة من تصورات التصميم والتى تحقق الملاءمة البيئية والجمالية للوحدات الخدمية من خلال متطلبات التصميم لتلك المناطق والتى تبينها الاشكال التالية:

(اللوحات الإرشادية، وحدات جمع القمامة، أكشاك الحراسة، أكشاك بيع الهدايا التذكارية والكتب، أعمدة الإنارة، محطات الانتظار).

- **اللوحات الإرشادية:**

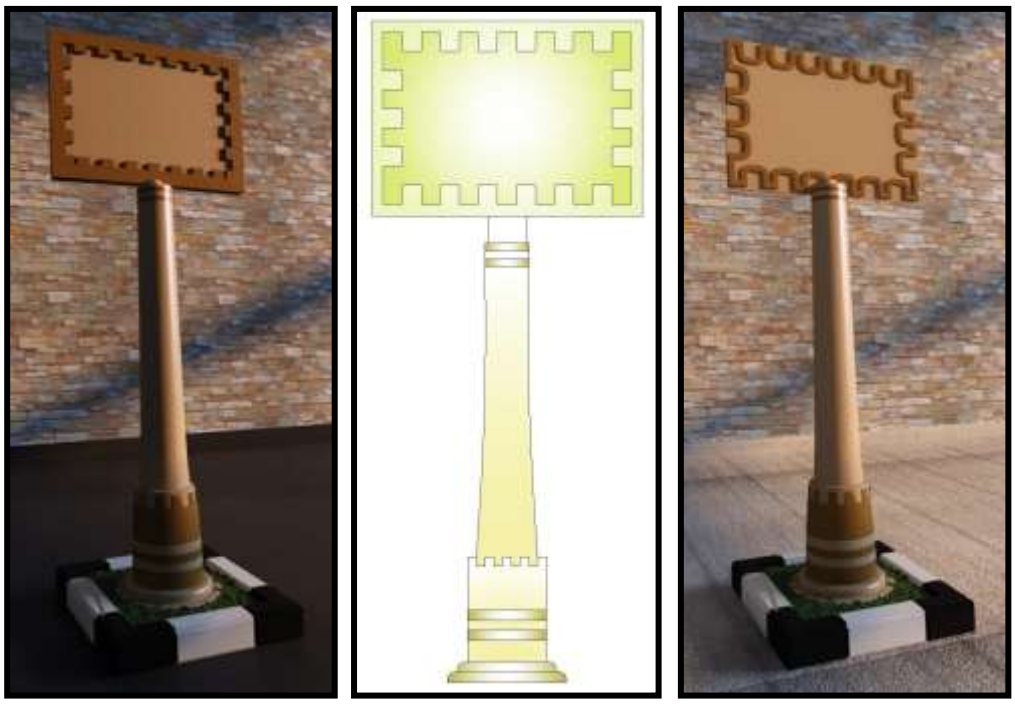

شكل(١٣) تصميم تصوري مقترح للوحات الإرشادية بالقلعة

- **وحدات جمع القمامة:**

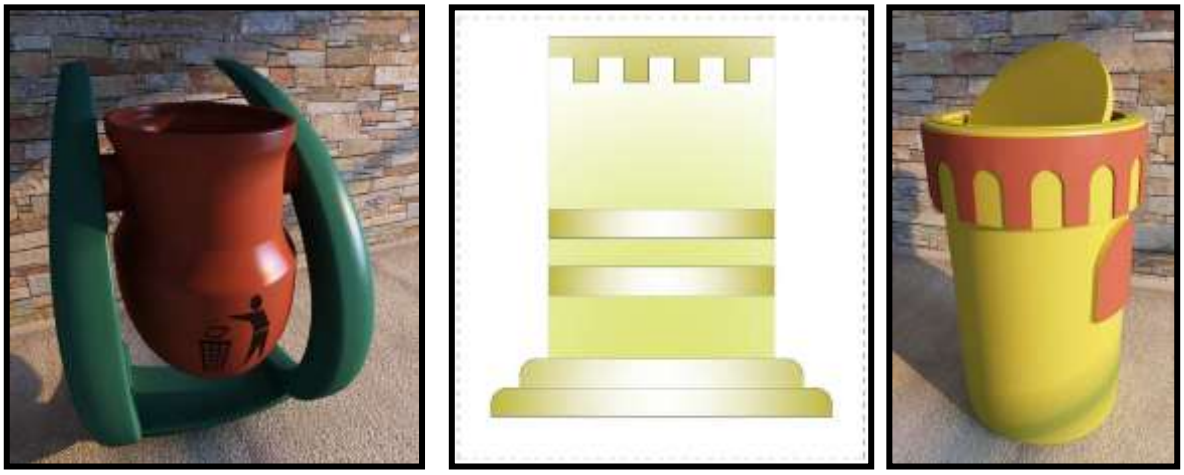

شكل(١٤) تصميم تصوري مقترح لوحدات جمع القمامة بالقلعة

تابع شكل(١٤) تصميم تصوري مقترح لوحدات جمع القمامة بالقلعة

- **أكشاك الحراسة:**

شكل(١٥) تصميم تصوري مقترح لأكشاك الحراسة بالقلعة

- **أكشاك بيع الهدايا التذكارية والكتب:**

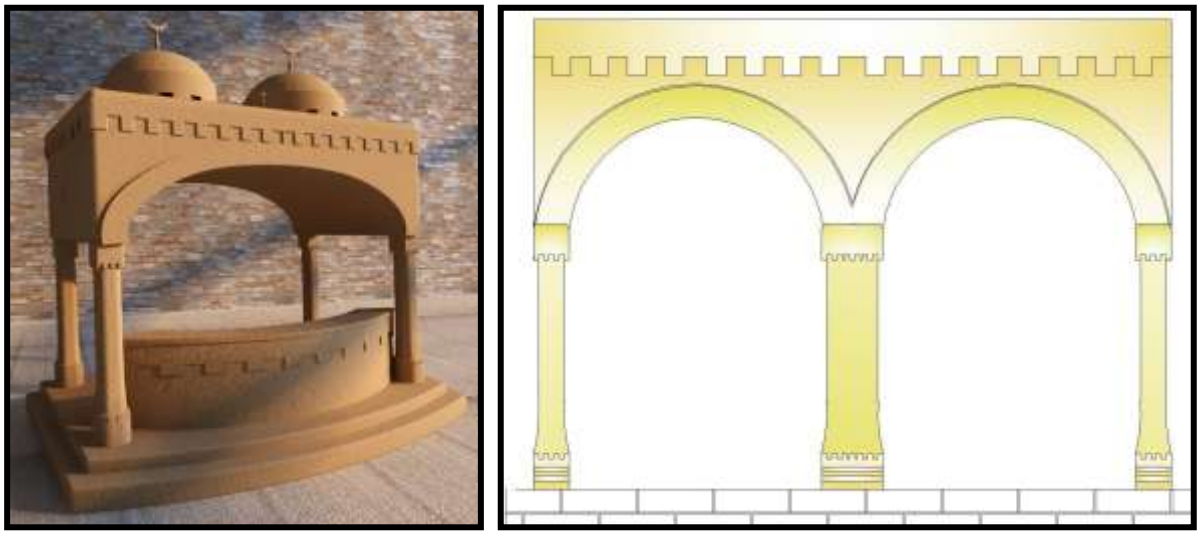

شكل(١٦) تصميم تصوري مقترح لأكشاك الهدايا التذكارية بالقلعة

- **أعمدة الإنارة:**

شكل(١٧) تصميم تصوري مقترح لأعمدة الإنارة بالقلعة

- **محطات الانتظار:**

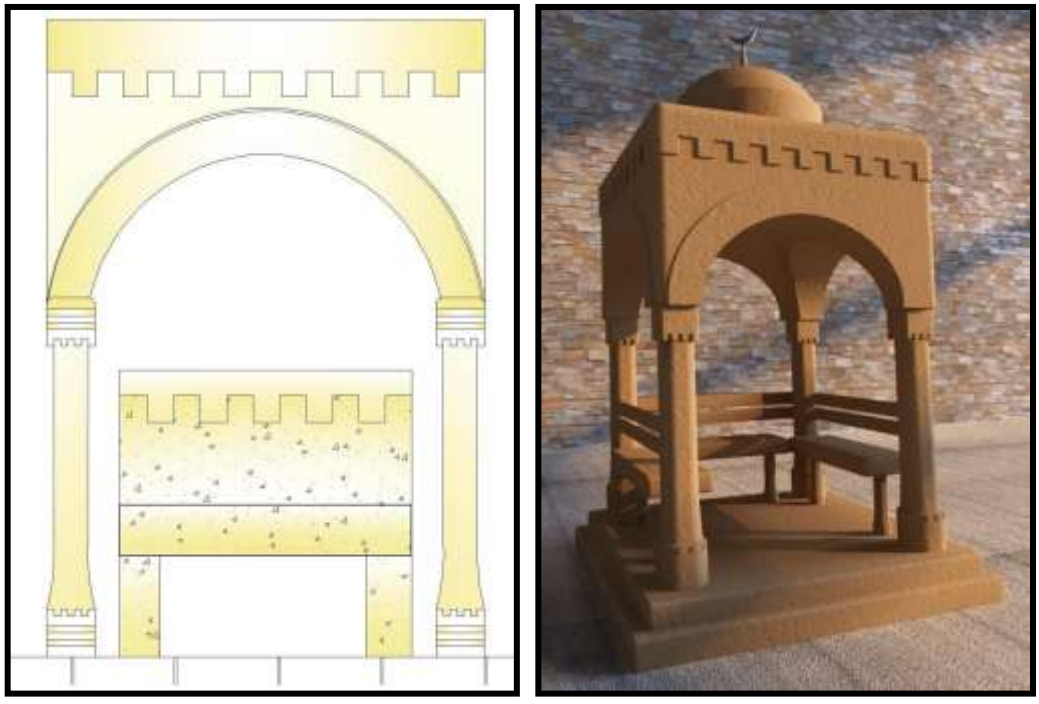

شكل(١٨) تصميم تصوري مقترح لمحطات الانتظار بالقلعة

نتائج الدراسة:

١- تحقيق التوافق البيئي للوحدات الخدمية المكملة الموجودة في الأماكن الأثرية الإسلامية والذى يمكن من المحافظة على التراث الإسلامي.

٢- وضع أسس ومعايير التنسيق الحضاري للتعامل مع المناطق الأثرية الإسلامية المفتوحة ووضع منهج إدارة للحفاظ عليها.

٣- تفعيل مفهوم التكامل بين العمارة الإسلامية وتصميم الوحدات الخدمية الحديثة التي توضع في تلك المناطق الأثرية.

٤- إعادة صياغه المكونات الخدمية داخل المبني المعماري بهدف تحقيق الوظائف المرجوة منها عن طريق تكامل الوحدات الخدمية مع الطراز المعماري للمكان.

٥- التشجيع على استخدام مفردات التراث خلال الأعمال المعاصرة بهدف ربط التجارب الحديثة بالسابقة وذلك من خلال تقديم رؤى متميزة تتمتع بالأصالة والتجديد.

٦- إنشاء مركز علمي لتحديد معايير الملاءمة البيئية والجمالية للمناطق الأثرية والإسلامية لضمان عدم تشويهها أو تحريفها والحفاظ عليها وعلى طرزها المعمارية.

٧- استخدام المناطق الأثرية الإسلامية وما بها من طرز معمارية كمصدر إلهام للمصمم الصناعي، والتي يمكن أن تكون مصدر إبداع للمصمم الصناعي لتصميم المنتجات الخدمية والتي تستخدم في تلك الأماكن لتتوافق معها بيئياً وجمالياً .

المراجع:

١- إبراهيم النجار: الفن الإسلامي وأثره على التجريد في التصوير الغربي المعاصر، رسالة دكتوراه، كلية فنون جميلة ١٩٨٧.

٢- أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي أصوله فلسفته مدارسه، دار المعارف، مصر، ١٩٦٧.

٣- أحمد شفيق الخطيب، معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩١

٤- أحمد عبد المنعم حامد القطان: التكامل المعماري بين التشكيل القائم والمستجد، رسالة ماجستير، كلية الهندسة جامعة الأزهر، ٢٠٠٦.

٥- أحمد كمال على وأخرون: العمارة مصدر إلهام للمصمم الصناعي، بحث منشور، المؤتمر العلمي الدولي لكلية الفنون الجميلة- جامعة حلوان ٢٠٠٨.

٦- ثروت عكاشة: القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار الشروق-القاهرة، ١٩٩٤.

٧- صفوت كمال: فنون الزخرفة كعامل رئيسي ملازم لتراثنا المعماري-سلسلة عالم المعرفة-ج٢٣-المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب(الكويت)، ١٩٩٠.

٨- عادل أحمد جهان الفورتية: المعايير الجمالية في الفن الإسلامي، دراسة معرفية داخل الإطار العام للفن الإسلامي محاضرة عن واقع الفن التشكيلي الإسلامي، تحت رعاية غرفة التجارة والصناعة، ليبيا- مصراته 2006 .

٩- عفيف بهنسي : أثر الجمالية الإسلامية في الفن الحديث، دار الكتاب العربى، ١٩٩٨.

١٠-على الطايش: العمارة الفاطمية والأيوبية في مصر الإسلامية، المكتبة العالمية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٣.

١١-علي ثويني: المنحى البيئي في العمارة الإسلامية، مجلة ينابيع، العدد(٢٥) رجب-شعبان ١٤٢٩هـ.

١٢- علياء عكاشة: العمارة الإسلامية في مصر، ديزني للنشر، الجيزة، ٢٠٠٨.
١٣- محمد خليل أبو الرب: القيم اللونية في الفن المملوكي والإفادة منها، رسالة دكتوراه، كلية التربية الفنية، ١٩٩٥.
١٤- محمد زينهم: التواصل الحضاري للفن الإسلامي وتأثيره على فناني العصر الحديث، وزارة الثقافة المصرية، مطبوعات بريزم الثقافية، القاهرة ٢٠٠١.
١٥- محمد عزت مصطفى : قصة الفن التشكيلي ، العالم الحديث ،دار المعارف القاهرة ١٩٦٤
١٦- محمود صدقي الجباخنجي: التذوق وتاريخ الفن، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١.
١٧- هدى رجب: أثر الزخرفة النباتية في المغرب والأندلس على مثيلتها في مصر الفاطمية وأوجه الاستفادة منها في تصميم أقمشة المعلقات المطبوعة المعاصرة، رسالة ماجستير، كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان، ١٩٨٨.
18- Aanavi, Don: Western Islamic Art, the Metropolitan Museum of Art Bulletin, v. 27, no. 3, November, 1968.
19- Robert Hillenbrand: Islamic Art and Architecture (The World of Art), Thames & Hudson, England, 1998.